بقلم

رئيس التحرير

صلاة سلام من مصر والعالم

د.ق. أندريه زكي

رئيسُ الطائفةِ الإنجيليَّةِ بمِصْر

رئيسُ الهيئةِ القبطيَّةِ الإنجيليَّةِ للخدماتِ الاجتماعيَّةِ

"يستطيعُ المطَّلعُ ببساطةٍ ودونَ جهدٍ أنْ يدركَ كمْ منْ تحدياتٍ يواجهُها العالمُ بأَسْرِه في عصرِنَا الراهنِ في ظروفٍ محليَّةٍ وإقليميةٍ ودوليةٍ؛ فنحنُ أمامَ عالمٍ تخنقُه الأزماتُ وتطوِّقُهُ التحدياتُ من كلِّ جانبٍ، وتفوحُ في أركانِه رائحةُ الحربِ والعنفِ والقتلِ والدمارِ واستباحةِ الحياةِ الإنسانيةِ وغيابِ السلامِ."

هذا العالمُ إذًا، أيها الأحباءُ، متعطِّشٌ للسلامِ، مفتقرٌ للسلامِ.

لكن ماذا يَعني السلامُ؟!

إنَّ السلامَ مفهومٌ شاملٌ لا يقتصرُ فقطْ على زوالِ الصراعِ، بل يتطلَّبُ أيضًا التأكيدَ على تحقيقِ مجموعةٍ كبيرةٍ من مفرداتٍ، وقِيَمٍ، ومواقفَ، وعاداتٍ ترتكزُ على احترامِ مبادئِ السيادةِ والحرياتِ، بجانبِ احترامِ مبادئِ الحوارِ والتعاونِ، ونبذِ ثقافةِ العنفِ واستخدامِها.

يقترنُ السلامُ بالمصالحةِ وبناءِ الجسورِ، ولا سبيلَ للسلامِ إلا بالمصالحةِ.

يَنتُجُ السلامُ أيضًا عنْ عملِ الرحمةِ؛ وعندما نعودُ إلى الكتابِ المقدسِ نجدُ مفهومَ الرحمةِ سائدًا؛ فقد وُصف اللهُ مرارًا وتكرارًا بأنهُ "حافظُ العهدِ والرحمةِ" (نحميا ١: ٥)، وأنه "رؤوفٌ ورحيمٌ وكثيرُ الرحمةِ..." (نحميا ٩: ١٧، مزمور ١٤٥: ٨)، وأنَّ "كلَّ سُبُلِ الربِّ رحمةٌ وحقٌّ..." (مزمور ٢٥: ١٠)، وفي سفرِ هوشعَ، نجدُ اللهَ يضعُ الرحمةَ أولويةً على الذبيحةِ: "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً" (هوشع ٦: ٦)، وهو القولُ نفسُهُ الذي اقتبَسَهُ السيدُ المسيحُ في عدّةِ مواقفَ (متى ٩: ١٣؛ ١٢: ٧).

إذنْ، الرحمةُ أولويةٌ إلهيةٌ وصفةٌ مميزةٌ للهِ في جميعِ تعاملاتِهِ معنا. وطالما يعاملُنا اللهُ بالرحمةِ فلا سبيلَ أمامَنا إلا أنْ نتبادلَ هذهِ الرحمةَ معَ الناسِ "طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ" (متى ٥: ٧).

يَمتَدِحُ السيدُ المسيحُ أيضًا صانعي السلامِ؛ إذ يقول: "طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ" (متى ٥: ٩). لقد كانَ السيدُ المسيحُ نفسُه صانعَ سلامٍ. وإذا تتبَّعنا مسيرةَ آلامِه وعملِه الخلاصيِّ، نجدُه يتعاملُ مع كلِّ المواقفِ من منطلقِ صناعةِ السلامِ. ففي لحظاتِ القبضِ عليهِ، قدَّم لنا النموذجَ والمثالَ في عَيْشِ ما علَّمَ بهِ؛ إذ رفضَ مقاومةَ الشرِّ بالشرِّ. صحيحٌ أنَّ السيدَ المسيحَ كانَ في عصرٍ يسودُ فيهِ اعتبارُ بناءِ السلامِ حصريًّا على استخدامِ القوةِ، لكنَّه قدمَ مفهومًا مختلفًا للسلامِ يتجاوزُ غيابَ الصراعِ إذْ يقول لتلاميذِهِ: "سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ". ويحرصُ على أنْ يحدِّدَ: "لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا".

إنَّ اتِّبَاعَنا للسيدِ المسيحِ، صانعِ السلامِ، هو دعوةٌ لنا لاستخدامِ كلِّ ما لدينا من قوةٍ لاقتراحِ مصالحاتٍ وبداياتٍ جديدةٍ وغفرانٍ، تمثُّلًا واقتداءً بالسيدِ المسيحِ.

إنَّ صناعةَ السلامِ ليستْ سهلةً، بل تتطلَّب تحوُّلاً في مواقفِنا؛ إذ إنَّ موقفَنا الأوَّلَ في وجهِ الصراعِ هو الانحيازُ إلى الجانبِ الأقربِ إلينا، وموقفَنا الأوَّلَ في وجهِ العنفِ أو الظلمِ هو الانتقامُ. صناعةُ السلامِ تتطلَّبُ تنقيةَ ذواتِنا من التنميطِ

والوصم ووضع الناس في قوالب.

صناعة السلام تتطلّب صبرًا على الإساءة وغفرانًا، بالتوازن مع القوة في الحفاظ على الحقوق والمطالبة بها.

أنْ نكونَ تلاميذًا ليسوعَ المسيح لا يَعني فقطْ أنْ نقبلَ الإنجيلَ على أنَّهُ سلامٌ مُعطًى لنا، بل أنْ نُصبحَ أيضًا صنَّاعَ مصالحةٍ وسلامٍ.

إنَّ العيشَ بسلامٍ يولِّد قيمَ التسامح والاحترام بينَ الناسِ، وينشرُ التقديرَ والقبولَ لثقافاتِ العالمِ المتنوعة، وطرقِ التعبيرِ المتفاوتة، واختلافاتِ البشرِ بشكلٍ عامٍّ، وهكذا يتمُّ تعزيزُ السلامِ منْ خلالِ الاهتمامِ بالمعرفةِ، والانفتاحِ على الآخرينَ، والتواصلِ، وتعزيزِ حريةِ الفكرِ.

السلامُ هو واحدٌ منْ أهمِّ مُتطلّباتِ تحقيقِ التنميةِ في أيِّ مجتمعٍ، وتحريرِ أفرادِهِ من الخوفِ ومنْ جميعِ أشكالِ العنفِ، وجعلِهِم يشعرونَ بالأمانِ.

أيُّها الأحبَّاءُ، لقد اختبَرْنَا جميعًا في بدايةِ العقدِ الثاني منْ هذا القرنِ ما عانَتْهُ بلادُنا ومجتمعُنا المصريُّ من تهديدٍ للسلامِ، وكيف دفعَ المصريونَ ثمنًا باهظًا للحفاظِ على الوحدةِ وأمانِ المجتمعِ، والتحركِ نحوَ الأمامِ وتحقيقِ الأمنِ والسلامِ، إننا اليومَ نَدركُ أنَّ بلادَنا العزيزة عصيةٌ على الكسرِ.

لذا اسمح لي أيها القارئ العزيز أنْ أختمَ بهذهِ الصلاةِ، ولنشترك بها معًا أمام عرشِ النعمة:

أيُّها الربُّ الإلهُ سيدُ السماءِ والأرضِ، أتينا إليكَ في خشوعٍ وخضوعٍ، اجعَلْنا بكلمتكَ شعبًا واحدًا يعملُ العجائبَ ويحملُ شهادةَ محبةٍ لكلِّ الناسِ، ويقدِّمُ الرحمةَ للجميعِ ويسعَى لصُنْعِ السلامِ.

أعطِنَا نعمةً يا سيدَنَا الربّ، لكي نُلزمَ أنفُسَنا، باعتبارِنا جسدًا واحدًا، أنْ نحبّ قريبَنَا كأنفُسِنا، والقريبُ هو كلُّ أخٍ لنا في الإنسانيةِ، وحتى الذينَ يسيئونَ إلينا.

أعطِنَا حكمةً أنْ نتمسَّكَ بإعلانِ المحبةِ ونعتنيَ بكلِّ العالمِ والخليقةِ.

ساعِدْنا يا رب أنْ نجاهدَ ضدَّ كلِّ أنواعِ التمييزِ، ولا سيَّمَا التي بينَ الرجالِ والنساءِ، الأغنياءِ والفقراءِ، الشبابِ والكبارِ، وأنْ نسعَى لبناءِ مجتمعِ العدالةِ وعالمٍ يسودُهُ الأمانُ والسلامُ.

آمين.